المشرق

المشرق

مجلّة ثقافيّة جامعة

صدر مرّتين في السنة

عن «دار المشرق» – بيروت

المدير المسؤول: الأب كميل حشيمه اليسوعيّ

رئيس التحرير : الأب سليم دكّاش اليسوعيّ

سكرتير التحرير: ريمون حرفوش

هيئة المستشارين: المطران أنطوان أودو – أ. لويس بوزيه – د. جورج جبّور – د. جاد حاتم – أ. عزيز الحلّاق – أ. صبحي حموي – أ. سمير خليل – أ. جون دنوهيو – د. أهيف ستّو – أ. فاضل سيداروس – د. بطرس لبكي.

ISBN 2-7214-9026-5

Direction et Rédaction
Dar el-Machreq,
B.P. 166778
Achrafieh, Beyrouth 1100 2150
LIBAN
Téléph: 202423, 202424
E-mail: MACHREQ@cyberia.net.lb
http://www.darelmachreq.com

الإدارة والتحرير
دار المشرق،
ص.ب. ١٦٦٧٧٨
الأشرفية، بيروت ٢١٥٠ ١١٠٠
لبنان
الهاتف: ٢٠٢٤٢٣ و٢٠٢٤٢٤
البريد الإلكتروني:

محتويات العدد

أفكار من الواقع المرير: ما هو الرجاء؟ وكيف يكون
قوّة بناء المستقبل؟بقلم الأب سليم دكّاش اليسوعيّ ٣٠٧
سرّ الإنسان في ضوء سرّ المسيح،
بقلم الأب فاضل سيداروس اليسوعيّ ٣١٥
تعدُّد الأديان والوثيقة الفاتيكانيّة «الربّ يسوع»،
بقلم الأب لاسلُو صابُو اليسوعيّ ٣٣٩
أُسُس الحوار الإسلاميّ المسيحيّ. قراءة نظريّة وتاريخيّة،
بقلم الأب صلاح أبو جوده اليسوعيّ ٣٥١
التربية على العيش المشترك الإسلاميّ - المسيحيّ،
بقلم الدكتور محمّد منير سعد الدين ٣٦٩
مقاربة استعاديّة لأحداث ١١ أيلول ٢٠٠١،
بقلم الدكتور شارل شرتوني ٣٩١
الكنيسة المصريّة في رسائل العيد
للقدّيس أثناسيوس الرسوليّ بابا الإسكندريّة،
بقلم الخوري بولس الفغالي ٤١٧
إيليّا النصيبينيّ (٩٧٥-١٠٤٦م)
والوزير أبو القاسم المغربيّ (٩٤١-١٠٢٧)،
بقلم الأب سمير خليل سمير اليسوعيّ ٤٤٣
رائد يسوعيّ في بلاد الشام: الأب بطرس فرُوماج (١٦٧٨-١٧٤٠)،
نصّ غُفْل نقله من الفرنسيّة وعلّق عليه وذيّله بملحق
الأب كميل حشيمه اليسوعيّ ٤٥٩
أوّل امتياز منفَّذ في الشرق: إمتياز شقّ
طريق بيروت - دمشق في العام ١٨٥٧،
بقلم الدكتور هيام ملّاط ٤٩٧

مراجعة الكتب:

تحدّيات التفاهم المتبادل. طلّاب مسلمون ومسيحيّون وجهًا لوجه (صلاح أبو جوده)؛ محمّد منير سعد الدين. العيش المشترك الإسلاميّ المسيحيّ في ظلّ الدولة الإسلاميّة - شهادة من التاريخ - (كميل حشيمه)؛ محمّد القاسم الحسينيّ النجفيّ (إعداد): ثورة التنزيه. «رسالة التنزيه» تبيانها مواقف منها وآراء في السيّد محسن الأمين (ص. أبو جوده)؛ حبيب بدر وآخرون (تحرير): المسيحيّة عبر تاريخها في المشرق (بولس الفغالي)؛ سمير عبده: المسيحيّون السوريّون قديمًا وحديثًا (ك. حشيمه)؛ نوري إيشوع منذر: نصيبين في تاريخ كنيسة المشرق قديمًا وحديثًا (ك. حشيمه): عبّود حدّاد: دير مار موسى الحبشيّ دينيًا، أثريًا، فنّيًا - النبك، سورية (ك. حشيمه)؛ Henri Jalabert: *Histoire d'un siècle. La Congrégation des Sœurs des Saints Cœurs de Jésus et de Marie* (ك. حشيمه)؛ سامي سلامه: مفكّرة المطران عبدالله الخوري. يوميّاته إبّان المفاوضات من أجل لبنان الكبير... (سليم دكّاش)؛ الصهيونيّة والبانتركيّة وقضيّة غاراباغ (ك. حشيمه)؛ جورج جبّور: القرار رقم ٣٣٧٩ ومؤتمر دربان. مقاربات العنصريّة الصهيونيّة (ك. حشيمه)؛ يوسف قرشانجي: أخبار حلب كما كتبها نقّوم بخّاش (...) الجزء الرابع (ك. حشيمه)؛ نبيل نجيب سلامه: دور مكتبة الإسكندريّة في دعم ثقافة الحوار والتسامح (ك. حشيمه)؛ Achot M. Altounian: *A la recherche du temps retrouvé avec mon père l'architecte Mardiros H. Altounian* (ك. حشيمه)؛ سمير أنطاكي: الدكتور روبيرت جبه جيان، قرن من العطاء: ١٩٠٩-٢٠٠١ (ك. حشيمه)؛ سيلين غوش: وجه من رهبانيّتي. حياة الأمّ إستيفاني بطبوطة (ك. حشيمه)؛ Joy Tabet: *La faculté d'empêcher du chef de l'Etat en droit comparé* (ك. حشيمه)؛ Georges Mghames and Akl Kairouz: *Pluralism and Democracy* (ص. أبو جوده)؛ James Livesey: *Making Democracy in the French Revolution* (ك. حشيمه)؛ غريغوار حدّاد: ١ - علم العروض، تفعيلات جديدة؛ ٢ - القواعد العربيّة، منهجيّة جديدة (س. دكّاش)؛ يوسف قزما خوري ويوسف حسين إيش: مختارات من آثار أحمد فارس الشدياق (ك. حشيمه)؛ ربيعة أبي فاضل: أديب مظهر رائد الرمزيّة في الشعر العربيّ

(ك. حشيمه)؛ أترانيك زاروكيان: أناس بلا طفولة (ك. حشيمه)؛ Hyam Mallat: *L'Académie Française et le Liban* (س. دكّاش)؛ حليم عبدالله: ١ - إعترافات... ومشاكسات؛ ٢ - صوت... صامت (ك. حشيمه)؛ لاسلو صابو: من أجل كلمتك (صبحي حموي)؛ Yves Simoens et Christophe Théobald: *Sous le signe de l'imminence: L'Apocalypse de Jean pour penser l'Histoire* (لاسلو صابو)؛ بولس الغنالي: كتاب العاديّات البيليّة، منسوب إلى فيلون (ص. حموي)؛ يحيى السانح: غريب على الطريق (ك. حشيمه)؛ منصور لبكي: رنّموا للربّ. المزامير (ك. حشيمه)؛ سليم دكّاش: مجموعة الميامر الروحيّة للشيخ الروحانيّ يوحنّا الدلياتي (ك. حشيمه)؛ صلاح أبو جوده: لاهوت التقليد (ص. حموي)؛ تريزا الآثيليّة: طريق الكمال (ك. حشيمه)؛ فاضل سيداروس وأولفر برج - أوليفيه: بين الروحانيّة الإغناطيّة والروحانيّة الشرقيّة (ك. حشيمه)؛ ڤيكتور شلحت: رفيق معلّم التربية المسيحيّة (ك. حشيمه)..... ٥١٥

أفكار من الواقع المرير: ما هو الرجاء؟ وكيف يكون قوّةَ بناء المستقبل؟

الأب سليم دكّاش اليسوعيّ[٥]

في الواقع المرير وفي حالات الاضطراب والقلق، يزداد اليأس ويسقط الإنسان في الإحباط حتّى حدود الانتحار. ومع ذلك، يبقى ذلك الشعور الدفين بأنّ احتمال تحقُّق ما نرغب في أن نصل إليه هو من باب الممكن. إنّه الرجاء، ثاني الفضائل اللاهوتيّة، بحسب التقليد الفكريّ اللاهوتيّ المسيحيّ، الذي يرتكز على القدّيس بولس في قوله إنّ الإيمان هو التصديق، ورسول الأمم يشدّد على جانب المعرفة بأنّ الله حقّ، وعلى الوثوق بذلك[١]، في حين أنّ الرجاء يُشير في الحيّز نفسه إلى جانب انتظار الموعود وهو انتظارٌ صَبور. الرجاء هو الرغبة الروحيّة في الاتّحاد بالله، بوصفه الخير الأسمى، أي إنّ الله مبتغى الإنسان وسعادته، للوصول بواسطته إلى السعادة الموعودة.

وفي المفهوم الفكريّ العامّ، الرجاء هو ذلك الشعور الذي يقضي بأن نعتبر ما نرغب فيه، أو ما ننتظره، أمرًا سيتحقّق لا محالة. إنّه اليقين الواثق بأنّ انتظار الأمر الموعود، للخروج من حالة السوء التي يتخبّط فيها الإنسان، سيفضي إلى واقع ملموس. والرجاء هو نقيض الوهم، أي نقيض الظاهرة التي لا واقع لها، كذلك السراب الخادع، إلّا في مخيّلة

(٥) · رئيس تحرير المشرق.

(١) الرسالة إلى أهل رومة ١/٥.

المسافر التائه الراغب في الماء.

في هذا الإطار، لن ننسى أنّ الوثيقة التي تركها البابا يوحنّا بولس الثاني بين أيدي اللبنانيّين في أثناء زيارته لبنان العام ١٩٩٧ كان عنوانها: رجاء جديد للبنان[٢]، حيث إنّ الإرشاد الرسوليّ يُشير إلى أنّ «قوى الشرّ لا تزال قائمة، في وسعها أن تنشر على الدوام الظلمة في العقول والقسوة في المشاعر، وتشكّل تهديدًا للمستقبل. ولكنّ الرجاء يبقى حيًّا فيهم على الرغم من كلّ شيء. إنّهم لم يفقدوا ثقتهم بذواتهم ولا تعلّقهم ببلدهم وبتقليده الديموقراطيّ»[٣]. ويدعو المؤمنين المسيحيّين إلى أن يؤسّسوا رجاءهم على المسيح[٤]، إذ إنّ هذا الرجاء لا يبنى إلّا على الإيمان بيسوع المسيح وعلى عطيّة محبّته، كما «أنّ الإيمان قوام الأمور التي تُرجى وبرهان الحقائق التي لا تُرى»[٥].

إعتبارات من الفكر المعاصر

إنّ الثوابت الإيمانيّة هذه لا تعفينا من الاطّلاع على وجهة نظر الفكر المعاصر[٦]، في جانبه اللادينيّ، وفي موضوع الرجاء، وخصوصًا أنّ بعضًا من آرائه قد تطرح على المؤمن وعلى المثقّف الملتزم بعض التساؤل في موضوع الرجاء. ونختصر آراء الفكر المعاصر في النقاط التالية:

١ - ربط التقليد الفكريّ الفلسفيّ، وحتّى اللاهوتيّ، الرجاء بالمخافة، حتّى إنّ الفيلسوف سبينوزا (١٦٣٢-١٦٧٧) قال في كتابه الأخلاق إنّ لا رجاء من دون مخافة وإنّ لا مخافة من دون رجاء. إنّ هذين

(٢) الإرشاد الرسوليّ، رجاء جديد للبنان، منشورات اللجنة الأسقفيّة لوسائل الإعلام، ١٩٩٧.

(٣) الإرشاد الرسوليّ، فقرة ١٧.

(٤) الإرشاد الرسوليّ، فقرة ١٨.

(٥) رسالة القدّيس بولس إلى العبرانيّين ١١، ١.

(٦) راجع في هذا المجال: André Comte - Sponville et Luc Ferry, *La sagesse des modernes*, Pocket 10639، خصوصًا الصفحات ٤٠٣-٤٢٥.

الشعورين يسيران معًا، يسيران قليلًا الواحد مع الآخر عندما يكون الرجاء مُنصبًّا على خير كبيرٍ موعود مع خطر محدود بألّا يتحقّق ذلك الخير. ونقيض ذلك، يسير الرجاء ملتصقًا بالمخافة عندما يكون الخطر كبيرًا بألّا يتحقّق ذلك الخير أو ذلك الوعد. فبمقدار ما نخاف من الأسوأ أن يحصل، نرجو رجاءً كبيرًا بأن نتخلّص منه، وبمقدار ما يكون طبيعيًّا أن يحصل الحدث الموعود، يكون الرجاءُ ضعيفًا.

٢ - والرجاء، كما هو معلوم، رغبة، إذ إنّ لا أحد يرجو رجاء أمرٍ لا يرغب فيه. فالرغبة، بحسب الفيلسوف اليونانيّ أرسطو، هي النوع القريب أو العامّ، أمّا الرجاء فإنّه نوع خاصّ له خصائصه المميّزة، وهو مرتبط بالزمن. أي إنّ الرجاء هو رغبة تختصّ بالمستقبل، في حين أنّ الرغبة في أن يتحقّق أمر بصورة متوازية أو متماثلة يختصّ بالماضي أو بالحنين إلى إعادة إنتاج الماضي. وكثيرًا ما يتمّ الخلط بين الرجاء بتحقّق الموعود أو المرغوب فيه مستقبلًا، وإعادة إنتاج الماضي.

٣ - وعندما نتكلّم على ميزات الرجاء، نشير إلى أنّ الرجاء هو الرغبة في أن يتحقّق ما نفتقده، أو ما لا نمتلكه، أو ما ليس هو بموجود، أو ما هو من باب الناقص. أن يرغب الإنسان في المأكل، فذلك يعني أنّه جائع، والرجاء في الأكل يولّد الألم، وإذا ما توفّر الأكل يزول الألم وينشرح الآكل. والواقع أنّ هذا ليس إلّا وجهًا محدودًا من وجوه الرجاء، إذ إنّ الرجاء الحقيقيّ هو الرغبة في حصول أمرٍ موعود من دون التفكير في اللذّة أو من دون السعي إلى اللذّة عبر تحقّق الموعود. لماذا؟ لأنّ الإنسان لا يرجو ما يولّد اللذّة العابرة فيه، ولا يرجو ما يشبعه لهنيهة أو لزمن، بل إنّ ما يرجوه هو السعادة الثابتة التي لا تسقط.

٤ - والتفكير في الرجاء، تلك الرغبة في أن نمتلك مستقبلًا ما لا نملك، يقود إلى التفكير في الرجاء كرغبة في حصول أمر ما من دون معرفة مستقبل ذلك الموعود. فالإنسان، على سبيل المعرفة، يعرف وضعيّة صحّته أو ماهيّة مرضه، إلّا أنّه لا يعرف صحّته مستقبلًا بالرغم من إمكانيّات العلم في هذا المجال. فالمعرفة والرجاء لا يلتقيان إلّا بصورة

عارضة أو هامشيّة، وإلّا لم يعد الرجاء رجاء. فالرجاء كما قلنا ينصبّ على المستقبل والمستقبل يغلّفه الجهل، إلّا أنّه يتناول أحيانًا الماضي، لأنّ الجهل يغلّف الماضي أحيانًا. فكم من الأشخاص يرجون ألّا يكون خيارهم الذي حصل في السابق خيارًا خاطئًا؟

٥ - وننتقل أيضًا إلى فكرة أخرى: ما هي علاقة الرجاء بالقدرة على فعل أمرٍ معيّن؟ وبصورة أدقّ، ما هي علاقة الرجاء بقدرتنا نحن؟ الأمور اليوميّة العاديّة أو الأعمال المباشرة المرتبطة خصوصًا بقدرتنا المباشرة لا علاقة لها بالرجاء، لأنّها وليدة قدرتنا على القيام بها. إنّها وليدة مشروع أو نيّة أو رغبة متعلّقة بالمستقبل، إلّا أنّ إرضاءها أو تحقيقها متوقّف علينا ومرهون بقدرتنا. فلا أحد يضع رجاءه في ما يستطيع أن يقوم به. وهكذا نصل استطرادًا إلى معادلة جديدة، فنقول إنّ الرجاء هو تلك الرغبة التي إرضاؤها لا يتوقّف علينا. فالرجاء هو أن نرغب في حصول اللامنظور، إنّه الرغبة خارج قدرتنا الشخصيّة على الوصول إلى اللامنظور.

هنا يتّضح الخطّ الفاصل بين الرغبة والإرادة، إذ إنّ عقيدة الفلاسفة الرواقيّين كانت تقول بأنّ الإرادة تبدأ حيث ينتهي الرجاء. وهنا نصل إلى تلك الخلاصة التي صاغها بعضهم، إذ وضعوا الرجاء في مواجهة الإرادة، وفي مواجهة الفعل والرغبة والقدرة البشريّة والمعرفة. فهل أصبح الرجاء نقيضًا للإرادة البشريّة، ومرادفًا للخنوع والانتظار السلبيّ؟

الرجاء انفتاح مطلق على المستقبل

لا شكّ في أنّ الرجاء، انفتاحًا مطلقًا على المستقبل، فيه شيء من المجازفة، إذ هو تعلّق بما لم يحصل بعد، وبما يُعتبر أمرًا أساسيًّا يوجّه الإنسان نحو كمال ذاته وتحقيق ما يصبو إليه، لأنّ الفكر يعتقد أيضًا أنّ ما هو لازم في هذا العالم ليس ما يبدو لامتغيّرًا في الظاهر، بل ما هو ممكن أن يحدث فيحرّر الإنسان من الرواقيّة القديمة والمعاصرة (ما هو واقع هو حتميّ)، ومن النزعة إلى الألفيّة (لا شيء له قيمة إلّا ما سيتحقّق في

المستقبل نتيجة النبوءات)، والعدميّة (لا معنى لشيء أو لواقع).

٦ - وإذا كان الرجاء انفتاحًا على المستقبل، فلا بدّ أن يكون فعل احتجاج على الواقع، إذ إنّ مبدأ الرجاء هو التالي: بقدر ما أرجو، أتعارك مع الواقع وأطمح إلى عالم جديد. إنّه إدانة للواقع المريض، سياسيًا واجتماعيًا واقتصاديًا، ورفض لصورة البشريّة المشوّهة، وهو رجاء يحوّل الألم الفرديّ والاجتماعيّ قوّةً للتغيير، فيصير الرجاء حرّيّةً من أجل أن يتحقّق الممكن الموعود به، وتكذيبًا لقوّة الموت، وتوكيدًا لقوّة الحياة. وهكذا فإنّ الرجاء، حتّى على الصعيد البشريّ الصرف، يصبح دفعًا للوثوق بالذات وبالآخر وقوّة دفع للإيمان، إذ إنّ لا رجاء من دون إيمان ولا إيمان من دون رجاء. وهكذا، فإنّ النظرة هذه إلى الرجاء البشريّ يتصوّرها أحد الفلاسفة المعاصرين، وهو إرنست بلوخ، على شكل حلم يحدث للإنسان وهو في حالة الوعي، فيصوّر بذلك حركة الرجاء ومسارها[٧]. فالأنا الحالمة، في حالة الوعي، هي في حالةٍ سليمة عكس الأنا الجاهلة في حالة الحلم الليليّ. والحلم في حالة الوعي له بُعد مستقبليّ، انطلاقًا من مبدأ يوازن بين ضرورات الواقع وشروط بناء المستقبل. وكما في كلّ حلم، تظهر نزعة إلى اللعب والخيال وإلى الانفلات ممّا هو محدود، إلّا أنّ هذه النزعة في حالة الوعي يتبعها التزام بالمسؤوليّة، وهي مسؤوليّة تحقيق ما تخيّله «إذا كنّا نريد ألّا نهلك» وأن نفقد قوّة الاندفاع نحو المستقبل.

إنّ قوّة الرجاء ليست مرتبطة مباشرة بالقدرة على فعل أمرٍ ما، أو بمعرفة أمر معيّن بوجه ضروريّ، أو بالحصول على لذّة معيّنة؛ إنّ قوّة الرجاء هي مطلقة، وتكون بالحقيقة مطلقة، عندما لا تكون متعلّقة بشرطٍ خارجيّ، وإلّا بطُلَ الرجاء أن يكون رجاءً. قوّة الرجاء، على الصعيد الفكريّ، تكمن، في ما هو ثابت فيها، أي إنّها مرتبطة بالمحبّة، وكما هو معلوم المحبّة هي الباقية أبدًا. فالرجاء هو جواب، فيه قوّة فوق حدود

(٧) Ernest Bloch, *Le Principe Espérance*, Paris, 1978, p. 242-243.

البشر وطاقتهم، على توقهم إلى السعادة الحقّ، وهذا الرجاء - الجواب يختلف بالتمام عن الوهم، لأنّ الرجاء وإن كان شعورًا فهو يعطي نفسه حقّ التمييز بين السعادة - الوهم والسعادة السامية. قوّة الرجاء في أنّها لا تتعهّد أمل الفرد البشريّ وحسب، بل إنّها تتعهّد الآمال الملهمة نشاطات البشر، وتقوم بتنقيتها وترزها: «فيحميه من اليأس ويُسند في التخلّي، ويُشرح القلب في انتظار السعادة الأبديّة. وثبة الرجاء تصون من الأنانيّة وتقود إلى سعادة المحبّة» على ما يقوله أحد النصوص الأساسيّة المعاصرة[٨].

وإذا كان الرجاء هو ديناميّة ذاتيّة واثقة، فهي ديناميّة حيويّة يستمدّها الرجاء من المحبّة التي ترينا أنّ الحياة هي الأقوى، وهي أقوى من الموت والفناء، وأقوى من ذلك القلق أو اليأس الذي تقول الفلسفة المعاصرة إنّه حالة كينونيّة ملازمة للكائن البشريّ. وهذه الحياة التي انتصرت وتنتصر اليوم وغدًا بالرغم من الموت، لا بل رغمًا عنه، يحملها رجاء الإنسان انتظارًا لحياة جديدة أفضل من السابقة. لا شكّ في أنّ الرجاء يضعف أمام الموت، لا بل أمام حالات الموت العنيف الذي يسبّبه الإنسان لأخيه الإنسان، أو عند موت قريب أو صديق، إذ لم يستطع العالم ولا الإرادة فعل شيء لوقفه. إذ ذاك يعود الرجاء إلى عمق ذاتيّته وإلى جذوره، فيرى أنّه راسخ في الحياة وناظر إلى حياة جديدة لا تنتهي. ففي الرجاء، كما يقول أحد الحكماء، عليك أن تتوكّل على الله كما لو كان كلّ شيء يتوقّف عليك أنت، لا عليه، وانصرف إلى العمل كما لو كان كلّ شيء يتوقّف عليه هو، لا عليك.

«... نحن الذين لنا باكورة الروح نئنّ في الباطن منتظرين التبنّي، أي افتداء أجسادنا، لأنّنا في الرجاء نلنا الخلاص، فإذا شوهد ما يُرجى لم يكن رجاء، وما يشاهده المرء فكيف يرجوه أيضًا؟ ولكن إذا كنّا نرجو

(٨) التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكيّة، الفقرة ١٨١٨، منشورات المكتبة البوليّة، جونية، ١٩٩٩.

ما لا نشاهده فبالثبات ننتظره»[٩]. كأنّ هذا القول كُتِب اليوم وليس بالأمس البعيد. أليس هذا هو انتظار كلّ إنسانٍ؟ رجاء البنوّة عبر التحرّر من العبوديّة، ورجاء الأخوّة عبر الاتّحاد بمصدر الحياة.

(٩) الرسالة إلى أهل رومة ٨/ ٢٣-٢٥.

من منشورات دار المشرق